

دراسة سيميائية في قصيدتي «التينة الحمقاء» لإيليا أبي ماضي و«صنوبرين» لمحمدجواد محبت على ضوء نظرية ريفاتير

محمدجعفر أصغري^{١*}، سميرا حيدري راد^٢، كمال دهقاني اشكذري^٣

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولي عصر (عج)، رفسنجان

٢. ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران

٣. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران

تاريخ استلام البحث: ١٨/١٢/١٣٩٧ تاريخ قبول البحث: ٢٥/٣/١٣٩٨

الملخص

ريفاتير من منظري سيميائية الشعر التي تعالج الاشارات المضمره وراء الأشعار؛ فهو يلقى اهتمامه على القارئ ومقدرته الأدبية مُشيراً إلى أنّ علامات القصيدة تُحرف عن التحو العادي؛ فالقارئ يكشف عن اللانحويات المتكررة فيها مُستعيناً بمقدرته الأدبية لا بمُجرد مقدرته اللغوية. فبناءً على ما تقدّم، تتناول الدراسة قصيدتي «التينة الحمقاء» لإيليا أبي ماضي و«صنوبرين» لمحمدجواد محبت لنتبين ما فيهما من بُنية دلالية مشتركة. أمّا البواعث الرئيسة للمقارنة بين القصيدتين فهي أنّ الرسالة التي تنطوي عليها القصيدتان بما فيهما من مضامين ودلالات مُتقاربة المعنى، تُعرض على القارئ النموذجي تجاوزه عقبة الواقع؛ لأنّ كلتا القصيدتين تصفان وصفاً يُحرف عن تصوير الواقع مُؤدياً إلى تفسير رمزي يرتبط بقراءة ريفاتير. تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي لتبيين النحو التوليدي، والاستخدامات الفعلية وغيرها من آليات تسمح بقيام عملية التواصل بين المرسل والقارئ؛ كما تُطبق نظرية ريفاتير السيميائية على القصيدتين؛ فهذا المنهج يبدو أكثر مُلائمة من حيث هو طريقة لقراءة شعري يُناقض المعتاد من النحو والدلالة. أمّا ما اهتدت الدراسة إليه من نتائج، فُشير إلى أنّ التناقض بين المحاكاة واللانحويات في القصيدتين يرشد القارئ إلى الكشف عن التعابير المتراكمة المشتركة منها: «الأناية، والقساوة، والدّمار وظروف المجتمع القاهرة» التي تتيح مجالاً ليبتني النص من جديد. وهو عند المقارنة بين الماتريس البنيوي في القصيدتين يدرك رسالته المُؤكدة على الالتزام بالصدّاقة والجود كالثغرات الإيجابية في ذهنه مُبرهنًا على أنّ وحدة القصيدتين تكمن في الهيوغرام المشترك وهو «أساس الحياة صدّاقة بعيدة عن الأناية». وأهمّ الدلالات المتباينة تدلّ على أنّ المنظومات الوصفية «أسلاك الاتصال» و«الجمال» تسير وفقاً لشفرة «العلاقات البشرية» في قصيدة «صنوبرين»، و«السخاوة» في قصيدة «التينة الحمقاء».

الكلمات الرئيسية: السيميائية؛ نظرية ريفاتير؛ ايليا أبو ماضي؛ محمدجواد محبت؛ «التينة الحمقاء»، «الصنوبران».

١. المقدمة

للسيميائية تعاريفٌ متباينةٌ تعبّر عن دراسة العلامات والدلالات في النصوص الأدبية. «السيميائية من العلوم الحديثة التي برزت في القرن العشرين وهدفها الأساسي يتأسس على دراسة العلامات وعلاقتها في الكون ووظائفها وفعاليتها» (رابعة، ٢٠١١: ٧)؛ سُمّيت أيضاً «بالسيمولوجيا حيث تدرس طبيعة الإشارات والقوانين التي تحكمها» (تشاندر، ٢٠٠٨: ٢٩)؛ والسيموطيقا «تعنى بلعبة التفكيك وتحديد البنيات العميقة الثابتة وراء البنيات السطحية المتحلية فونولوجياً، صرفياً ودلالياً وتركيبياً» (حمداوى، ٢٠١٥: ١١).

نظراً إلى تعاريف السيميائية، تشكلت اتجاهات لدراسة جميع أنماط العلامات، «وقد تنوعت هذه الاتجاهات حسب اهتمامها بالأبعاد المختلفة للعلامة السيميائية منها: سيميائية التواصل، سيميائية الدلالة، سيميائية الثقافة والسيميائية التداولية» (المرباط، ٢٠١١: ٦٥). وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك نظريات سيميائية يصعب إدراجها ضمن اتجاه خاص نظراً لعلاقتها المتعددة بمختلف هذه الاتجاهات، من ذلك نظرية جورج موليني، تحت عنوان "السيموطيقا الأسلوبية"؛ ظهرت السيموطيقا الأسلوبية مع جورج موليني؛ فهي تهتم بدراسة النص الأدبي باعتباره نتاجاً خطائياً أساسه العلاقة بين المرسل والمتلقي. ويعني أن هذه السيميائية قد تأثرت بنظرية جمالية التلقي التي تركز على القارئ المثالي أو الافتراضي. وتجلّت عند رولان بارت، وميشيل ريفاتير، وميشيل شارل وإيزر ويوس (حمداوى، ٢٠١٥: ٢٨٢-٢٨١). قد جمع الناقد المعاصر «ريفاتير» بين السيموطيقا والأسلوبية في كتابه سيموطيقا الشعر؛ فهو يرى «أنّ الشعر كثيراً ما يوظف كلمات لا تردّ في الكلام العادي بل يتميز بنحوٍ خاص» (ريفاتير، ١٩٧٨: ٢١٣). يتأثر هذا المنظر برأي ياكوبسن الشكلاني، لكنّه يُهاجم تأويله لقصيدة بودلير "القطط" مُبيّناً أنّ الملامح اللغوية في القصيدة لا يمكن إدراكها حتّى من قبل قراء مُطلعين. «وقد رفض منهجه البنيوي؛ غير أنّ الملامح اللغوية ليست جزءاً من البنية الشعرية التي يختبرها القارئ» (سلدن وبروكس، دت: ١١٦).

والملاحظ أنّ ياكوبسن يجعل الانتباه مُوجهاً نحو الإرسالية ذاتها، فيهمل الوظائف التواصلية الأخرى لكنّ ريفاتير يهتمّ بالقارئ وكفاءته الأدبية مع الإلحاح على «أنّ إهمال القارئ للعناصر التعبيرية يُؤدي إلى تشويه النص، كما أنّ انتباهه إليها يشعره بالضرورة بأبعادها الدلالية وتميّزها، وفي هذا تأكيدٌ جديدٌ على ضرورة حضور المقصدية» (ريفاتير، ١٩٩٣: ٥). هذا ما يعطي لأسلوبية ريفاتير بُعداً السيميائي ويؤكد على علاقتها بجمالية التلقي بسبب اهتمامها بالقارئ.

أمّا ما يُؤدّي بالباحثين إلى اختيار هذا العنوان موضوعاً للدراسة فيعود إلى ما في القصيدتين «التينة

دراسة سيميائية في قصيدتي «التينة الحمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمدجعفر أصغري، سميرا حيدري، كمال دهقاني اشكذري الحمقاء» و«صنوبرين» من مضامين مشتركة ودلالات متقاربة المعنى التي تُدَلّ على أنّ الرسالة التي تنطوي عليها القصيدتان تفرض على القارئ النموذجي تجاوز المحاكاة. لأنهما تصفان وصفاً دقيقاً كلّ الدقة ويصبح الانحراف عن تصوير الواقع مؤدياً إلى تفسير رمزي. فالقارئ بادئ الأمر يوجّه توجيهاً يخالف «التينة» و«صنوبرين» بما فيهما من سماتٍ ينشأ منها التناقض - بين ما تفترضه الكلمات وبين ما تفرضه - في عالم الواقع. وعندما يتوقف القارئ عند كلمات القصيدتين يتوقع منها التعبير عن الواقع؛ غير أنّ الكلمات من وجهة نظر ريفاتير تصبح لائحيات أو لامباشرات؛ فهي تُقطعُ انطلاقاً لدلالة القصيدتين الكامنة. ومن هنا تلعب قراءة ريفاتير السيميائية دوراً هاماً للكشف عن دلالاتٍ نحوية تبدو لائحوية. فهذه الوجوه المشتركة بين القصيدتين التي ترتبط بميزات نظرية ريفاتير، من أهم أسباب المقارنة بينهما.

وانطلاقاً مما تقدّم، تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي - التحليلي لتتبع الوجوه السيميائية على ضوء نظرية ريفاتير، كما تحاول تبيين بعض المصفوفات للقصيدتين التي تكون بمثابة الشفرة المشتركة بين المرسل والقارئ وتسمح بقيام عملية التواصل منها: النحو التوليدي، واستخدامات الفعلية، والتشاكل والتباين، والتناص والتفاعل وغيرها من النماذج المستخدمة وصولاً إلى الكشف عن عناصر تحدّد الواقع الأدبي خلال العملية السيميوطيقية. فما تنتهجه المقالة يقترّب من طريقة لقراءة الشعر الذي يُناقض المعتاد من النحو والدلالة.

٢. أسئلة البحث

وما تحدفه من هذه الدراسة هو معرفة اللائحيات في القصيدتين وما تشترك بينهما من الوحدات المولدة من منظور السيميائية وذلك عبر أسئلتنا: كيف يمكن دراسة هاتين القصيدتين على أساس نظرية ريفاتير السيميائية؟ ونظراً إلى أنّ المقارنة بين القصيدتين العربية والفارسية تبحث عن المشابهات والمفارقات فقد جئنا بسؤالين هما: ما هي التشابهات السيميائية في قصيدتي الشاعرين؟ ما هي التباينات السيميائية بينهما؟

٣. خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة عالجت سيميائية الشعر ولكن تأتي بما هو أقرب من موضوعنا: أطروحةٌ مُعنونةٌ بـ"التينة الحمقاء" لإيليا أبي ماضي (دراسة تحليلية سيميائية لميخائيل ريفاتير) لخير الأنوار (٢٠١٦م)، جامعة سونان كاليجا الإسلامية الحكومية: تطرق الباحث إلى تحليل قصيدة "التينة الحمقاء" على ضوء نظرية ريفاتير وتوصل إلى أنّ وحدة المعنى في القصيدة تركّز على الماتريس البنيوي، وهو حبّ العطاء.

لكنّه لم يركّز على تمثيل المؤشرات اللانحوية فيها بالتحديد كما أكّد عليها ريفاتير في تحليل الشعر السيميائي. فضلاً عن ذلك، تلائمت القصيدتان العربية والفارسية بما فيهما من الهيوغرام واللامباشرات مع نظرية ريفاتير السيميائية ما يقترب من وجهة نظرنا في هذا البحث. ومن هنا تتضح أهمية وضرة المقارنة السيميائية من منظور ريفاتير بين القصيدتين.

٤. نظرية ريفاتير السيميائية

تعتبر القراءة شكلاً من أشكال إنتاج النص. ويرى السيميائيون أنّ «القراءة وظيفة سيميائية وهي نشاطٌ أساسيٌّ وظيفته دمج المضمون بالتعبير وتحويل سلسلة من التعابير إلى مُتتالية من العلامات» (خري، ٢٠٠٧: ٩٥). ولتحقيق هذا التحويل يتخذ القارئ الهياكل المختلفة للقبض على المعنى المعبر. «وبين النظريات الموجهة نحو القارئ، يتفق ريفاتير مع الشكلايين الروس في النظر إلى الشعر على أنّه استخدامٌ خاصٌ للغة. وهذا أمرٌ يُدرّكه القارئ العادي وحتّى القارئ الساذج» (سلدن وبروكس، دت: ١١٦). دعا ريفاتير معيارَ القارئ النموذجي «إِنَّه معيارٌ موضوعيٌّ يمنع كُلّ قراءةٍ ذاتيةٍ» (ريفاتير، ١٩٩٣: ٨). قائلاً «إنّ مُنطلقى الأساسى في سيميوطيقا الشعر هو التعامل مع الحقائق المتاحة للقارئ والتي يُدرّكها عند تعامله مع القصيدة كنصّ متين» (ريفاتير، ١٩٧٨: ٢١٤).

يرى ريفاتير في نظريته المتطورة «أنّ القراء الأكفاء يذهبون إلى ما بعد المعنى السطحي، مُعتقداً بأنّ القصيدة غالباً ما تشدّ عن القواعد العادية وتمدد التمثيل الأدبي للواقع أو المحاكاة، ويتطلّب فهم معنى القصيدة كفاءة لغوية، لكنّ القارئ النموذجي يحتاج إلى الكفاءة الأدبية كي يتعامل مع الشواذ القواعديّة المتكررة يُصادفها لدى قراءته للقصيدة» (سلدن وبروكس، دت: ١١٦-١١٧). وهذا القارئ عندما يُواجه عقبة من الشواذ القواعديّة أو اللانحويات، مُضطربٌ خلال عمليّة القراءة التي يُواجه فيها الانحراف النحوي إلى الكشف عن مستوى أعلى من دلالة تُفسّر الملامح اللانحوية للنص.

وللوصول إلى درك اللانحويات والكشف عنها، يرى ما بكل ريفاتير أنّ الظاهرة الأدبية تمثّل علاقةً جدليّةً بين القارئ والنص، لذلك ميّز بين مُستويين للقراءة السيميائية: القراءة الاستكشافية والقراءة الاسترجاعية. في القراءة الاستكشافية «يتمّ تفسير أولاً لأنّ المعنى يتمّ فهمه من هذه القراءة. ويعتمد الدور الذي يلعبه القارئ في هذه القراءة على كفاءته اللغوية، التي تقوم على أساسٍ من مرجعية اللغة» (ريفاتير، ١٩٧٨: ١١٦).

1. Ungrammaticality

دراسة سيميائية في قصيدتي «التبية الخمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمدجعفر أصغري، سميرا حيدري، كمال دهقاني اشكذري (٢١٧). حسب هذا التعريف، لكي يتوصل القارئ النموذجي إلى اكتشاف الدلالة لا بُدَّ له أن يتجاوز عقبة المحاكاة وهذه المرحلة من القراءة ضرورية لتغيير رأيه. أما المرحلة الثانية في القراءة فهي «مرحلة القراءة الاسترجاعية حيث يُجيب الوقت لتفسير ثابٍ أي لقراءة تأويلية حقيقية» (المصدر نفسه: ٢١٨). والأثر النهائي لهذه القراءة هو اجتلاء وحدة الدلالة في النص الأدبي. أمّا أهمّ الركائز في قراءة ريفاتير السيميائية فهي:

التعابير المتراكمة^١: «نواة رئيسة لسلسلة مُعَيَّنة من المفردات المترادفة التي تتمحور حولها» (Riffarter, 1987: 5-6). وهذا التعبير يقع في مركز المنظومة الوصفية في نظرية ريفاتير.

المنظومة الوصفية^٢: «هي سلسلة من التعابير المتراكمة والمفردات المرادفة التي تعبّر جميعاً عن الدلالة المعيّنة» (المصدر نفسه: ٣٩).

الهيوغرام^٣: «يحتوي النص على مضمون ثابت يتكرر بشتى العناوين ويتشكّل بؤرة النص في النظام البيوي» (Riffarter, 1979: 75-76).

الماتريس البيوي^٤: «هو مُولّد بنائي يمكن اختزاله في جملة واحدة. ولكن المولد لا يمكن اختزاله إلا على نحو غير مُباشر، فليس له وجود فعلي يوصفه كلمة واحدة أو جملة واحدة في القصيدة» (سلدن، ١٩٩٨م: ١٨٠).

٥. القراءة الخطية والقراءة الارتجاعية للقصيدتين

٥-١. قصيدة «صنوبرين»

في القراءة الأولى يُدرك القارئ المعنى الظاهري المرتبط بالشعر وهو قصّة قصيرة يحكيها الشاعر الإيراني في قالب منظوم لتبيين هواجسه الرئيسة للمخاطب. يتحدث الشاعر عن نبت شجرى (الصنوبر) خارج القرية جنب أسلاك الاتّصال. كان الصنوبران صديقين طيلة السنوات ففي فصل الخريف هبّت رياح شديدة واقتلعت جذور أحدهما من التراب إثر الوبل، فأخذ يستغيث بصديقه لكنّه حاب في تحقّق طلبه. في النهاية ما إن سقط الصنوبر المصاب حتّى تمزّقت الأسلاك وقطعت المواصلات. لهذا،

1. Accumulation: a group of words in a family of meaning. Each word is made up of one or more sememes.
2. Descriptive. Systems: is a collection of words associated with a concept or nucleus word.
3. Hypogram
4. Matris

مركز الاتصال، للوقاية من تكرار تمرّق الأسلاك، قام بتحطيم الصنوبر الثاني. بعد قراءة قصيدة «صنوبرين» الاستكشافية يُواجه القارئ تعبيراً تصبح مُنافيةً للواقع ولتوقعاته اللغوية. وفي قراءته الاستراتيجية «يعدل ويقارن باستمرار ما قرأ وكلّم استمرّ في قراءته بالمقارنة بين العبارات المختلفة أدرك أنّها عبارات ذات صيغ متعدّدة لمولّد بنيوي واحد» (ريفاتير، ١٩٧٨: ٢١٨). يتكوّن شعْر «صنوبرين» من العناصر اللامباشرة التي تُؤدّي إلى هداية المتلقّي إلى المعنى الثانوي. هذه التعابير تُسوّق ذهنَ القارئ إلى أنّ الشواذ التي تمدد المعنى هي مفتاح الدلالة؛ وترشده إلى أنّ المتكلم لا يقوم بوصف حياة شجرتين بل يهتمّ بالعلاقات الحميمة بين الناس مُعتقداً بأنّ ما يُهدّد الصلات البشرية الأنايية والقساوة.

٢-٥. قصيدة «التينة الحمقاء»

القارئ في القراءة الأولى يرى أنّ الشاعر يصف حياة تينةٍ تمتاز بالجمال، وهي تتحدّث مع زميلاتها في أواخر الصيف. وتذمّ القضاء وتحتج بأنّ الله منّحها الجمال، وغيرها من الكائنات تتمتع بالنظر إليها. لذلك تقرّر أن تحبس نفعها بحيث لا يكون لها خير للآخرين. وتجعل ظلّها على قدرها. ولا تُثمر إلا بعد التأكد من أنّها لن يأكلها طيرٌ ولا بشرٌ. فلما أقبل الربيع ظلّت التينة عاريةً من الأوراق وخاليةً من الثمار. فأصبحت قبيحة المنظر وصار من ينظر إليها يحسب أنّها قطعة من الخشب أو حجرٌ ملقى على الأرض. فلما رآها صاحب البستان ضاق بما قطعها وألقاها في التار.

في المرحلة الثانية من القراءة، استمرّ القارئ في قراءة «التينة الحمقاء» بالجمع بين التعابير المتابعة التي لاحظها في أوّل الأمر تعابير لائحوية، وأدرك في هذه المرحلة أنّها عباراتٌ مُتعدّلة. ويجعل من النحوية الخلفية التي تظهر اللائحوية من خلالها شفرةً رمزيةً تُصوّر شيئاً يختلف عن التينة التي مازال الوصف يلوّح بها. وكلّ المقومات تُبرهن القارئ على أنّ ما يُؤدّي إلى تحطيم العلاقات الودية هو الأنايية والقساوة والظروف القاهرة.

٣-٥. استخراج المصفوفات والنماذج والتنوعات للقصيدتين

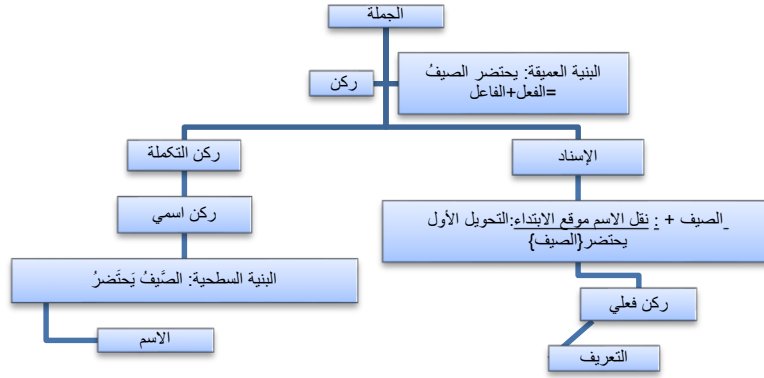
يجدر بنا أن نكشف عن بعض آليات التأويل السيميائي التي تقود إلى تعدّد المعنى، لذلك لا بُدّ من التركيز على النحو التوليدي، والتشاكل والتباين، والصوت والمعنى، والمعجم والتركيب، والتناسل والتفاعل. وهذه العناصر تعدّ آليات يستعين بها التأويل السيميائي في مقارنة النص الشعري ويُساعد القارئ على تجاوز الواقع لاكتشاف الدلالة.

١-٣-٥. النحو التوليدي للقصيدتين

«يقترح ريفاتير قراءةً سيميائيةً لدراسة الشعر، مُتجاوزاً قراءة البنيويين ليربط القراءة السيميائية باستكشاف البنيات الأساسية المولدة للنصوص على غرار النحو التوليدي لتشومسكي، الذي يعني بدراسة البنى العميقة التي تتحكم في البنى السطحية للجمل» (https: pulpit. alwatanvoise. com). يمايز تشومسكي بين "البنية العميقة" و"البنية السطحية"، ف«إنّ البنية العميقة تدخل في حقل الكفاءة بينما تدخل البنية السطحية في حقل الإنجاز، غير أن الكفاءة هي التي تمكن من الانتقال من البنيات العميقة إلى البنيات السطحية عن طريق عِدَدٍ مِنَ العمليات الشكلية المسماة "بالتحويلات النحوية"» (المرباط، ٢٠١٠م: ٤٩). إن فهم تشومسكي لحقل الكفاءة والإنجاز لا يختلف كثيراً عن رؤية ريفاتير الذي يرى أنّ «كفاءة القارئ اللغوية تجعله يشعر بلانحوية النص ولكنه لا يقدر أن يتجاهلها؛ لأنّ النصّ يُسيطر على هذا الإحساس بالذات. وليست الكفاءة اللغوية هي العامل الوحيد لفهم اللانحويات أو البنيات العميقة والكفاءة الأدبية تلعب دوراً هامياً في معرفة القارئ للمنظومات الوصفية والثريمات الأدبية وخصوصاً معرفته للنصوص الأدبية» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٢١٧).

في مايلي نُشير إلى أهمّ التحويلات التي تجري في البنيات العميقة المستخدمة في قصيدة «التنية الخمقاء» منها: تحويل نقل الركن الإسمي موقع الابتداء. «قَالَتْ لِأَتْرَائِمَا وَالصَّيْفُ يَحْتَضِرُ»: ترتيب عناصر الجملة في اللغة العربية ليس ترتيباً حُرّاً بل هو محدّد. «أما ترتيبها في البنية العميقة فهي: "فعل+فاعل+مفعول به"» (زكريا، ١٩٨٦: ٢٨). والبنية العميقة تشمل على ركنين رئيسين: هما الإسناد والتكملة. ركن الإسناد «يتألف من الفعل، الفاعل، المفعول به والجار والمجرور المرتبطين بالفعل. ركن التكملة فيتألف من عناصر لا ترتبط مباشرة بالفعل بل تعود إلى الجملة» (المصدر نفسه: ٥٥).

(تمثيل اشتقاق الجملة بصورة مُشجّرة)



الملاحظ أنّ المشجر يُفسّر العلامات اللسانية مباشرةً على هذا الشكل: سلسلة العناصر الدائمة: {ال+صيْفُ+يحتضر} هذا الركن الإسنادي يعطي القارئ جملةً مؤلفةً من ركنين: ركنٌ اسميٌّ وركنٌ فعليٌّ. مركب اسمي يتألف من «ال» واسم «صيْفُ» ومركب فعلي يتألف من فعل «يحتضر». وتحويل نقل الاسم موقع الابتداء لا يمكن إجراؤه على اسم نكرةٍ وذلك لأنّ الجملة تصبح جملة غير أصولية. لكي يخضع الاسم لهذا التحويل، لابدّ من أن يعرف. في الحقيقة نستدل على أنّ الشاعرَ عائداً إلى ركن الإسناد حين تناوله إجراء تحويل نقل الركن الإسمي إلى موقع الابتداء. فعملية إجراء التحويل تُتيح للقارئ إلحاق المتكلم بموقعه الحقيقي في الجملة. هكذا نستطيع تفسير العلاقة التي تربط بين الجمل.

وفي قصيدة «صنوبرين» نلاحظ الإبهام في الجمل التي تتولد من الجملة النواة؛ «وهي الجملة الخبرية البسيطة المبنية للمعلوم التي تتولد منها الجملة المنفية والجملة المبنية للمجهول والجملة الاستفهامية». (مختار طليمات، ٢٠٠٧م: ١٩٤). أمّا البنية السطحية المبنية للمجهول التي تتولد من الجملة المعلوم فهي: «در كنار خطوط سيم پیام، خارج از ده، دو کاج رویدند: على جنب أسلاك الاتّصال، نبت صنوبران خارج القرية» و«سيمها پاره گشت و کاج افتاد: تمزّقت الأسلاك فسقط الصنوبران» (محبّت، ١٣٨٠ش: ٤٤). القارئ في قراءته الاستكشافية يدرك الإبهام. اللانحوية. الناتج من الجمل المجهولة. ولا يقدر دركها بالمعايير السطحية بل يحتاج إلى الغور في بُنيته العميقة المبنية للمعلوم.

الإبهامات الناشئة عن بنية الجملتين السطحية: ١. تمزّق الأسلاك إثر حادثٍ ما فتؤدي إلى سقوط الصنوبر ٢. الصنوبر يسقط على الأسلاك ويؤدي إلى تمزّقها. لرفع الإبهام الناشيء، نقوم باشتقاق الجملتين:

البنية العميقة المبنية للمعلوم: «كاج، كاج را روى سيمها انداخت» و «كاج سيمها را پاره كرد»: التحويل الأول: التوليف بين الجملتين = كاج، كاج را روى سيمها انداخت {و} كاج سيمها را پاره كرد. / التحويل الثاني: حذف الركن الإسمي «المسند إليه: كاج» في الجملتين/ التحويل الثالث: حذف «را» من الركن الإسمي في الجملتين/ التحويل الرابع: حذف الركن الإسمي «روى سيمها» من الجملة الأولى/ التحويل الخامس: نقل الجملة الثانية موقع الجملة الأولى: {سيمها پاره گشت+ كاج افتاد} و سيمها پاره گشت. / البنية السطحية: «سيمها پاره گشت و كاج افتاد».

إنّ الانتباه إلى البنية العميقة يساعد القارئ النموذجي في رفع غموض التعابير الناتجة عن البنى السطحية. هنا تجدر الإشارة إلى أنّ المقارنة بين الجمل الخاصة من منظور النحو التوليدي والتحويلي تمهدنا إلى أنّ النحو التوليدي يطبق على لغة القصيدتين العربية والفارسية. والشاعران ينقلان إلينا كفاءتهما اللغوية خلال التحويلات النحوية المنجزة في البنى العميقة؛ فيمنحان قارئهما شكلاً وصفيّاً لا يأبه بدلالات الجمل ويساعده في تيسير القراءة الخطية.

٢-٣-٥. الاستخدامات الفعلية في القصيدتين

تُعَدُّ نظرية الأفعال اللغوية التي اقترحها «أوستين^١» و«سيرل^٢» من أهمّ نظريات اللسانيات التداولية. «انطلق سيرل من معايير تتعلّق بوضعيات المتكلم والمخاطب، السياق، الحالات السيكولوجية المعبر عنها وغايات التلفظ وقوته الإنجازية، فقدم تصنيفات للأفعال اللغوية، أهمّها: الأفعال الإثباتية^٣، التوجيهية^٤، الالتزامية^٥، التعبيرية^٦ والتصريحات^٧» (المرابط، ٢٠١٠م: ٥٠-٤٩).

الأفعال الإثباتية: «نقطة الفعل الكلامي الإثباتي هي التعهد للمخاطب بحقيقة الخبر» (سيرل، ٢٠٠٦م: ٢١٦). الأفعال التعبيرية: «التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وحيث لا تُوجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يسند المحتوى خاصية إمّا إلى المتكلم أو إلى المخاطب» (بلانشيه، ٢٠٠٧م: ٦٦).

الأفعال الالتزامية: «غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل» (أحمد نخلة، ٢٠٠٢م: ٧٩).

1. Austin
2. Searle
3. Assertive
4. Directive
5. Commissives
6. Expressive
7. Declarative

الأفعال التوجيهية: «التوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات، ولا يمكن أن تكون صادقةً أو كاذبةً، لكن يمكن أن تطاع أو تحمل أو يخضع لها أو تستنكر» (سيرل، ٢٠٠٦م: ٢١٨).

الأفعال التصريحية أو الإعلانية: «السمة المميزة لها أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضيوي للعالم الخارجي» (أحمد نخله، ٢٠٠٢م: ٨٤).

أما ريفاتير فيؤكد على أنّ «الدلالة تبدو لي شيئاً يتجاوز أو يختلف عن المعنى الكلي الذي يمكن أن يستخرجه القارئ من مقارنة صيغ المعطيات المباشرة في النص بل هي إسهام القارئ الإبداعي في عملية التحويل» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٢٢٥).

أما الأفعال اللغوية المستخدمة في شعر «صنوبرين» فهي: {الإثباتية= نَبَتْ/ الإثباتية والتوجيهية= كانوا يلاحظون/ التوجيهية= أعف عني، فكّر، تحمّل، ابتعد عني، دعني}: «هذه الأفعال تفرض على القارئ توجيهاً يخالف عاداته اللغوية ويجبره على القفز من إشارة إلى إشارة حيث يتوارى المعنى إلى نص غير ملموس خطياً ولكنه حاضر بوصفه مضمراً أو مفترضاً» (المصدر نفسه).

غرض الشاعر من الإتيان بفعل «نَبَتْ» الإثباتي يعود إلى أنّه يريد الإخبار عن مكان نَبَتْ «صنوبرين» جنب أسلاك تلعب دوراً هاماً في الموصلات البشرية لئيبه القارئ على أنّ حياتهما قائمة على العلاقات الودية في أول الأمر. لذلك يبدأ قصيدته بالفعل الإثباتي ليصف واقعةً معينة تميّز باحتمال الصدق والكذب. أما فعل «كانوا يلاحظون» التوجيهي فيرشد القارئ إلى أنّ الشاعر مهتمّ بحضّ القارئ على الصداقة المتينة التي يلاحظها الناس بين صنوبرين. فيهدف إلى تشجيعه على مساعدة الآخرين وهم في مسيس الحاجة، مُستعيناً بالأفعال التوجيهية «أعف عني، فكّر، تحمّل» ليبرهن على غرضه التداولي وهو الاستعطاف. فيأتي بالتوجيهيات الأخرى «ابتعد عني، دعني» مُعرباً عن الإهمال تجاه المستغيث لإثارة التوبيخ. أما المقطع الأخير في القصيدة فمُتكوّن من الإثباتية والتوجيهية «توقّوا، حطّموا» ليخبر عن مصير الصنوبر القاسي التوجيهي لتبيين مكافحة القساوة. وغرضها التداولي تحقّق الدمار والهلاك.

أما أفعال قصيدة «التينة الحمقاء» اللغوية فهي: الإثباتية، والتعبيرية، والإلزامية والتوجيهية: أبوماضي يبدأ قصيدته بفعل «قالت» الإثباتي الذي يحتمل الصدق والكذب. فيقرر سمات التينة التي تخبر أصدقائها عن حدثٍ جديدٍ. وفعل «أوجدني» الإثباتي يشير إلى استمرار الجمال. وفعل «يحتضر» الإثباتي والتعبيري تقرّر عن إتمام الصيف الذي يحدث في عالم الواقع وتعبير عن الحزن الناتج

دراسة سيميائية في قصيدتي «التنية الخمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمد جعفر أصغري، سميرا حيدري راد، كمال دهقاني اشكذري

عن مجيء الخريف. فيكون غرضه التداولي استمرار تحوّل الفصول واستحضار فصل الخريف. الغرض الإنجازي من الإتيان بفعل «بئس» التوجيهي فعائداً إلى تنبيه المخاطب إلى الجمال الذي يعجب صاحبه ويدهش الآخرين. فيستمدُّ الشاعرُ من فعل «لأحبسنَّ» الإلتزامي ليلتزم على نفسه تحقق حدث. والمضارع بالنون الثقيلة يدلّ دلالة تداولية على استمرار الحرص والإلتزام على وقوعه، والشاعر ينزل المخاطب منزل الإنكار ليُعبرَ عن الحتم والإلتزام في الوعد.

عند المقارنة بين القصيدتين يتّضح لنا أنّ الشاعرين يستخدمان في أشعارهما الأفعال اللغوية لإثارة انتباه المخاطب وزيادة التأثير فيه. فيستعملان الأفعال التي تدلّ على تحويل دلاليّ خاصّ يقرأها القارئ النموذجي بوصفها علامةً سيميوطيقية. كما يأتيان بالأفعال الإثباتية والتعبيرية والتوجيهية إلا أنّ الشاعر العربي علاوةً عليها، يستفيد من الأفعال الإلتزامية حسب مقتضى القصيدة ليُعبرَ عن تحقق البُحُل في ذات التينة. أمّا الشاعر الإيراني فيستعمل الأفعال التوجيهية أكثر من الشاعر العربي وصولاً إلى أهمية المعايير الأخلاقية في ذهن القارئ.

٤-٥. التشاكل والتباين^٢ في القصيدتين

«يُقصدُ بالتشاكل مجموعة من السيمات السياقية أو المقولات التصنيفية المتكررة والمترددة بشكلٍ متواترٍ داخل الخطاب أو نصٍّ ما، وهو الذي يحقّق انسجام النص ويُريل عنه غموضه وإبهامه الدلالي» (حمداوي، ٢٠١٥م: ١٠٢-١٠١). على أساس هذا التعريف، يبدو لنا الفرق الرئيس بين التشاكل والمنظومات الوصفية في نظرية ريفاتير؛ وهو تكرار المقولات التصنيفية بشكلٍ متواترٍ في التشاكل.

«تقتضي دراسة التشاكل في النص الأدبي من كونه أداة تحليل سيميائي الالتفات إلى التباين للكشف عن العلاقات القائمة على التناقض والاختلاف» (رابعة، ٢٠١١م: ١٥-١٤). وما يشير اهتمامنا هو تكرار مقوم الأسلاك في «صنوبرين» بشكلٍ مُترددٍ حيثُ يهدّد المحاكاة.

«أسلاك الاتصال، الأسلاك المتمرّقة، مراقب الأسلاك، تصلح السِّلْك»: نلاحظ أنّ هذه المقولات التصنيفية متكررة بشكلٍ متواترٍ في القصيدة وتجعل قراءتها مُنسجمةً. هذه المقولات تعبر عن التشاكل الدلالي وهو «لزوم الصداقة في العلاقات الودية». وكفاءة القارئ اللغوية ترشده إلى طُرُق

1. Isotopie
2. Heterotopie

المواصلات لكن كفاءته الأدبية تُساعده على المقارنة بين تكرار «الأسلاك» ليتوصل على دلالتها الكامنة وهي أهمية الصداقة. لذلك يرفع الإبهام الناشئ عن لائحوية نبت «صنوبرين» جنب أسلاك الاتصال. والعلاقة التي تُيسره أسلاك الاتصال بين الناس تحتاج إلى لزوم الصداقة المتينة بينهم. ولولا الصداقة (سقوط صنوبر) لذهبت العلاقات الإنسانية (تمزق الأسلاك). «

مثلاً نلاحظ في قصيدة «التينة الحمقاء»: «لأَحْسِنَ عَلَى نَفْسِي عَوَارِفَهَا = البُحْلُ»+«إِنِّي مُفْصَلَةٌ ظِلِّي عَلَى جَسَدِي = البُحْلُ»+«وَلَسْتُ مُثْمِرَةً إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ = البُحْلُ» فَقَدْ تَرَكَمُ مُقَوِّمُ «البُحْلُ» المتعلق بالإنسان البخيل بشكلٍ متواترٍ في القصيدة. وقد أركم الشاعر مُقَوِّمُ «القساوة» الخاصة بالإنسان، وكلا التشاكلين ينتمي إلى تشاكل «ذم الإنسان المعجب بنفسه» في السياق. البُحْلُ والقساوة يُعدان التينة عن السخاوة والوجود. ومن أهم مظاهرها في القصيدة، إتخاذ قرار التينة الجديد الذي يُعبر عن حبس نفعها وإقبالها على العُقمة.

أما التباين الذي يوجد في القصيدة: «نبت الصنوبرين/ قطع الصنوبر» و«تمزق الأسلاك/تصليح الأسلاك» فيُحقق الفهم الحقيقي للصور الدلالية. فلا يُمكن الحديث عن الصداقة إلا بالحديث عن القساوة ولا تتحقق دلالة تمزق الأسلاك سوى بالإشارة إلى تصليح الأسلاك. وهذا التباين يعود إلى أنّ الشعر لا يسير على وتيرة واحدة بل يتضمّن على شواذ قواعدية تخالف كفاءة المتلقى اللغوية وتنقله إلى أنّ العلاقة منقطعة بين مقاطعه مُبرهنًا على «تداعيات الصداقة والقساوة».

ومّا جديرٌ بالذكر أنّ الشاعر يستمدُّ من «ليس يسخو وتسخو» المتباينين ليثبت فكرة القصيدة الرئيسة بأفضل طرق في ذهن القارئ وهي أهمية السخاوة في الحياة البشرية مُشيرًا إلى أنّ من لا يوجد على غيره بما لديه من الخير، فالهلاكُ مصيره لا محالة. يتّضح مما سبق؛ أنّ جميع هذه التشاكلات والتباينات يمنح القصيدتين التماسك النصّي الذي يحقّق من خلال تواتر الوحدات اللغوية.

٥-٥. الصوت والمعنى

أما كثرة الأصوات المجهورة في القصيدتين فتحكى عن دلالاتٍ معنوية وإيقاعية متلائمة بسياق الإنذار والشدة في عاقبة الإنسان المعجب. والصوامت الأكثر تكراراً في قصيدة «التينة الحمقاء»: «ل»، «ر»، «ن»، «ت»، «ب» وعدد تكرارها حسب ترتيب هو: ٤٦، ٢٧، ٢٥، ١٩، ١٧. والصوامت التي تكررت في قصيدة «صنوبرين» بشكلٍ متواترٍ هي: «ر»، «د»، «ن»، «م»، «ت» و«ب» وعدد

دراسة سيميائية في قصيدتي «التينة الحمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمد جعفر أصغري، سميرا حيدري راد، كمال دهقاني اشكذري
ترتيبها: ٤٩، ٣٥، ٣٣، ٣١، ٣٢ و ٢٦. إنَّ صوت الراء الذي قد تكرر ٤٩ مرة في القصيدة
الفارسية و ٢٧ مرة في القصيدة العربية يعدّ من الأصوات المجهورة التي لها قوة في السمع وهذه الميزة
تؤدي إلى التناغم بين الأصوات والمعاني في القصيدتين. وتكرار الراء يدلّ على تكرار سقوط الصنوبر
مرتين؛ مرة على الصنوبر الآخر ومرة على الأرض. أمّا تكرار صوت الراء في قصيدة «التينة الحمقاء»
فيُشير إلى أنّ التينة تحمص وتبخل بشكل متواتر.

إنَّ صوت الميم والنون من الأصوات المجهورة والانفجارية ويعتمدان على الشدة والرصانة في وقعهما
الدلالي. تكرار هذه الأصوات في القصيدتين يدلّ على القوة والشدة في العقوبة التي تواجه التينة والصنوبر.
و"الدال" صوتٌ شديدٌ مجهورٌ فكان أصلح الحروف للتعبير عن القساوة والظلام. وصوت الصفيير
المنبعث من حرف السين - وهو من الأصوات المهموسة والرخوة - في قصيدة «صنوبرين» يدلّ على
الصوت المسموع من اقتلاع جذور الصنوبر من التراب وتمزّق أسلاكالاتصال. وفي قصيدة «التينة
الحمقاء» يعبر عن صوت حريق التينة. المقارنة بين أصوات القصيدتين ترشدنا إلى أنّ الشاعرين كليهما
يستخدمان الأصوات الشديدة أكثر من الأصوات الرخوة للتأثير في ذهن القارئ.

٦-٥. المعجم والتركيب

يعالج المعجم من زاويتين مختلفتين: التركيبية والدلالية، فالتركيبية ترى في المعجم مُكوّناً أساسياً تتأسس
عليه بنية الجملة النحوية ويتحدد معناها، فالتركيب والمعجم حسب هذا النظر «غير منفصلين
وعلاقتهم تكوينية ضامنة لاشتغال اللغة» (مفتاح، ١٩٨٦ م: ٥٧).

أسلاك الاتصال: أسلاك الاتصال تدلّ على دلالتين: التكنولوجيا الحديثة بالنسبة إلى تركيب
«خارج القرية». والعلاقات الوُدّية بالنسبة إلى تعبيرين «الصنوبرين والصدّيقين».

الخريف: الشاعر يبدأ قصّته بفصل الخريف. ولا يتحدّث عن جمال هذا الفصل بل يُشير إلى
ظروفه الجوية السيئة مثل «الوبل» و«سوط الريح» التي تغبّر حياة الصنوبر وتؤدي إلى ارتعاشه وانحنائه
ثمّ سقوطه على الآخر. وهدف الشاعر من الاتيان بالمظاهر المخيفة للخريف هو تبين دلالة الخريف
الخاصة في شعره وهي الانعزال والانفصال.

القريب والجار: «محبّت» يجسّد للمخاطب نظرة الصنوبر المصاب إلى صديقه لما يخاطبه
«بالقريب» والشاعر نفسه يصفّهُ «بالجار». لكنّ حسب السمات المستخدمة له في هذا المقطع

«عنيفة، متسخم، قاسي القلب، قليل المروءة» نتوصل إلى أن القريب والجار لم يستعملا في مكانهما اللائق؛ لأنَّ القريب هو «الدَّاني في المكان أو الزَّمان أو النَّسب» (ابراهيم وآخرون، ١٩٨٩م: ٧٣٢). والجار هو «المجاور في المسكن. الشريك في العقار والتجارة. المخير. المستجير». (المصدر نفسه: ٢٢٩). والشاعر يأتي بهما ليُصوِّر أنَّ الصنوبر قريبٌ ومجاورٌ من حيث المكان؛ لكنَّه بعيدٌ من حيث الحنان والمحبة والصدقة الحميمة. لذلك «القريب» و«الجار» يدلان على المثل الشهير «الأقارب عقارب».

التين: «شجر من الفصيلة التوتية» (ابراهيم وآخرون، ١٩٨٩: ٩٢). يأتي أبو ماضي في شعره بشجرة التين التي تتسم بِسِمَةِ الحماقة «وَوَظَلَّتِ التَّيْنَةُ الحَمَاقَةَ عَارِيَةً» والملاحظ أنَّ التينة تطابق معناها المعجمي وهو الشجر، الذي لا يمنح أظلاله وأثماره للآخرين بل يجسها لنفسه لذلك تصبح عارية كَوَتِدِ نَهاية المطاف. أمَّا في البيت الأخير فَتفهم المعنى الدلالي للتينة وهو الإنسان المعجب الذي يهلك: «فَإِنَّهُ أَحْمَقُ بِالْحِرْصِ يَنْتَجِرُ».

٧-٥. التناص^١ والتفاعل

«النَّصُّ هُوَ مُدَوَّنَةٌ حَدِيثٍ كَلَامِي ذِي وَظَائِفٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَهْمُهَا التَّفَاعُلِيَّةُ، فَالْنَّصُّ تَوَالِدِي لَيْسَ مُنْبَثِقاً مِنْ عَدَمٍ، فَهُوَ مُتَوَلَّدٌ مِنْ أَحْدَاثٍ لُغَوِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ» (سعدية، ٢٠١٦م: ٤٦). هذا التعريف يتضمَّن أدقَّ المفاهيم منها: «التفاعل النَّصِّي لا يكون مباشراً دائماً، فقد يكون ضمناً عندما ينتج نصّاً ما حاملاً صورَ نصوصٍ أخرى من خلال تبينه الجديد. و"التفاعل النَّصِّي" مصطلح يؤثره بعض النقاد على مصطلح "التناص"» (عزّام، ٢٠٠١م: ٣١-٣٠). للتناص أقسامٌ مختلفة وما يعالج في القصيدتين؛ اللاشعوري والداخلي.

٨-٥. التناص اللاشعوري

«أمَّا التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء؛ فيكون المؤلف فيه غير واع بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه؛ هذا التناص في استراتيجية على الامتصاص والتدوير والتحويل والتفاعل النَّصِّي» (صياداني وصباحي، ٢٠١٤م: ١٣٦). ونلاحظ بين القصيدتين نوعاً من التناص اللاشعوري والشاعران غير واعيين بحضور نصّهما في النصّ الآخر. أمَّا رؤيتهما المشتركة عن المضامين الأخلاقية في ثقافتهما المختلفة فتجعل نصّهما أكثر شابهةً عبر التناص اللاوعي. ومن مظاهر التناص اللاشعوري أو اللاوعي في القصيدتين «الأنانية والقساوة».

٩-٥. التناص الداخلي

«التناص الداخلي يكشف عن علاقات نصوص الكاتب مع نصوص كتاب آخرين معاصرين له، خصوصاً إذا كان هؤلاء قد انطلقوا في إنتاج نصوصهم المتناصّة مع نصوصه من خلفية نصية مشتركة» (سعدية، ٢٠١٦م: ٥٤). عند المقارنة بين عنوان القصيدتين والخريف تتمدّد إلى أنّ كلتا القصيدتين تسلك مسلك الرومانسيين وتعبّر عن التناص الداخلي الذي يتفاعل بين الشعارين ومعاصريهما من الرومانسيين.

٦. تبين محاور نظرية ريفاتير

١-٦. التعابير المتراكمة والمنظومات الوصفية المشتركة

المنظومة الوصفية: (عندي الجمال - عيبي عنده النظر - كم ذا أكلف نفسي فوق طاقها. وليس لي بل لعيبي الفيء والثمر) = (تعبير «الأناية» المتراكم):

والملاحظ أنّ بؤرة مركزية في هذه المنظومة هي الأناية التي تتمحور حولها مجموعة من المفردات الرئيسة. هذه التعابير تدلّ على ظاهرة العجب التي تؤدي إلى الحرص والقساوة. وتجعل الشخص المعجب بنفسه شخصاً أعمى ليس قادراً على رؤية الآخرين وما فيهم من الجمال.

المنظومة الوصفية: (أنت مؤذ للناس، متسخم عليك/ ابتعد عني، دعني/ كيف يمكن لي أن أتحمّلك؟) = (تعبير «الأناية» المتراكم): الشاعر الإيراني يأتي بتعابير مرادفة تتمحور حول الدلالة الخاصة المعبرة عن مدى الأناية لدى الصنوبر الجار الذي تسخّم على صديقه في وقت الحاجة مخاطباً أنّه يؤذيه. وما يثير الانتباه في هذا المقطع الشعري أنّ الصنوبر يقدر على الإجابة عن طلب صديقه المصاب لكنّه يتجنّب عنه ويعده.

المقارنة بين التعابير المتراكمة ترشدنا إلى أنّ القارئ يجمع بين مفردات القصيدتين ويكشف عن منظومتها الوصفية اللامباشرة، «الأناية» بوصفها دلالة تعبّر عن هواجس الشعارين ونظرتهم السيميائية المشابهة..

فالعجب في القصيدة الفارسية يُسبب القساوة وفي القصيدة العربية ينبعث من الحرص والقساوة معاً. المنظومة الوصفية: (فلا يمين لها في غيرها أنر - أن ليس يطرفني طير ولا بشر) = (تعبير «القساوة» المتراكم):

أبوماضي من خلال هذه المنظومة يحكي للمخاطب حكاية الإنسان الذي يفكر في عيشه الرغد فحسب. ولا يهتمّ شيء سوى الوصول إلى غرضه. والتبينة تهدف أن تعيش مُنعزلة لا تغيد الآخرين

بشارها وظلّها؛ غافلة عن أنّ الحياة المنعزلة عن الآخرين تضربها كثيراً.

المنظومة الوصفية: (عنيفة، هزّ، قاسي القلب، قليل المروءة، متمزّقة، سقوط الصنوبر، طرحت قامته) = (تعبير «القساوة» المتراكم): هذه المنظومة الوصفية تدلّ على ظاهرة «القساوة» وترشد إلى أنّ الصنوبر الجار ليس الصنوبر الذي قد نبت في مكان ما بل عرّض الشاعر من الإتيان به والإشارة إلى سماته الإنسانية هو تعبيرٌ دالٌّ على الإنسان الذي يعيش في العصر المعاصر مُنعزلاً عن الآخرين. نلاحظ أنّ القساوة من وجهة نظر الشاعر علامةٌ للعُجب بالنفس - تخدم الصلات الودية بين الناس - ولا يمكن فهمها دون فهم استمرارها من عنصر إلى آخر في شبكة وصفية؛ لأنّ القساوة بالقول من جانب الصنوبر الجار الذي استطال على صديقه المصاب تسبّب سقوط صديقه على الأرض. والشيء الذي يلتفت انتباه القارئ هو سقوط الصنوبر تزامناً مع تمزّق أسلاك الاتصال. وهنا يبرز للقارئ أنّ القساوة والعجب يُدمران كلّ شيء.

المنظومة الوصفية: (عارية من الأوراق، خالية من الثمار، وتّد، حجر، الحماقة، الانتحار) = (تعبير «الهلاك والدمار» المتراكم): أبوماضي في المقطع الأخير يأتي بتعابير تدلّ على الهلاك والدمار. وبعد أن يُبرهن على دلالات البخل والعجب يركّز على مصير من له هذه السمات الشنيعة. في رأى الشاعر، إنّ السخاوة والمحبة من أهمّ القيم التي تشكّل الإنسانية لكن يُدمرها البخل والعجب. لم تكن التينة في البداية شجرةً قبيحة المنظر وعاريةً من الأوراق بل كانت سخيّة تمنح الكائنات ممّا منحها الله، لذلك كانت شاهقة ذات أظلال وثمار. أمّا أثناء الطريق فتعجب بنفسها وتقرّر أن تغمض عيونها على من يتمتع بها.

المنظومة الوصفية: (مشكلة الأمر، تكرار الخطر، الفأس، إرب، تحطيم) = (تعبير «الهلاك والدمار» المتراكم): هذه المنظومة الوصفية في قصيدة «صنوبرين» دالّة على مصير الإنسان القاسي والمعجب. فيعدّ الدمار بؤرة مركزية فيها. والمقارنة بين القصيدتين تظهر أنّ الشاعر العربي ينقد الإنسان المعاصر المعجب فيبرهن على عاقبته المهلكة وهي التار. كلا الشاعرين يعتقد بأنّ عاقبة الأنانية والقساوة هي الدمار إلّا أنّ سبب هلاك التينة في شعر «أبي ماضي» هو البخل وفي شعر «محبّت» هو القساوة.

المنظومة الوصفية: (التينة، غصّة، عوارف، الفيء، الثمر، الظلّ، البستان، وتّد، حجر) = (تعبير «ظروف المجتمع القاهرة» المتراكم): هذه المنظومة في القراءة الأولى تطلق على حقلٍ مُعينٍ وهو عناصر الطبيعة التي تنحرف عن النحو العادي وتصبح مناقضة للواقع. فالقارئ في قراءته الارتجاعية يجمع ويقارن بين هذه العناصر بكفاءته الأدبية وصولاً إلى دلالتها وهي المجتمع بما فيه من الظروف القاهرة.

دراسة سيميائية في قصيدتي «التينة الخمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمدجعفر أصغري، سميرا حيدري، كمال دهقاني اشكذري

المنظومة الوصفية: (القرية، الصنوبر، الوبل، سوط الريح، خروج الجذور من التراب، السقوط) =
تعبير «ظروف المجتمع القاهرة» المتراكم: هذه المفردات المرادفة في قصيدة «صنوبرين» تعبّر عن
عناصر الطبيعة في المحاكاة. لكنّها لما يعدّها القارئ في قراءته باستمرار يدرك أنّ معناها اللغوي يُعدها
عن المعنى الرئيس. ويقومُ بِفكِّ شفرتها بمقدرته الأدبية مُبيناً أنّ المتكلم يستمدّ من العناصر التي توحى
الخوف «الوبل، سوط الريح، الجذور الخارجة» ليلقي آلام مجتمعه العميقة.

عند المقارنة بين المنظومات الوصفية التي تتمحور حول تعبير "المجتمع" المتراكم نفهم بأنّ الشعارين كليهما
يستخدمان عناصر الطبيعة لا بمجرد معناها اللغوي بل لمجرد الدلالة المشتركة وهي مجتمع بعيد عن الإنسانية المرودة.

٦-٢. التعابير المتراكمة والمنظومات الوصفية المتباينة

المنظومة الوصفية: (غضة الأفنان، الباسق، الجمال، العوارف، الأثر) = تعبير «السخاوة والمحبة»
المتراكم: إنّ هذه المفردات غير مباشرة حسب رأي «ريفاتير» وخرجت عن تمثيلها الواقع لتكشف عن
أنّ التينة ماكانت بخيلة وقاسية منذ البداية بل هي سخية في برهه من الزمان. والشجرة نفسها تعترف
بأنّ الناس والطيور قد أفادوا من ظلّها وأثمارها سابقاً. تومئ القصيدة العربية إلى دلالة البخل مؤكّدةً
على أنّ من ليس سخياً فهو سفيه لا يظفر في حياته بشيء إلاّ الدمار. كما يبدو من بداية الشعر،
التينة شجرة جميلة أفاد الناس منها، لكنّها شيئاً فشيئاً تغيّرت طريقتها فأصبحت قصيرة الباع.

المنظومة الوصفية: (أسلاك الاتصال، مركز الاتصال، إرسال الرسالة، مراقبوا الأسلاك، الوقاية من
تمزّق الأسلاك) = تعبير «التعامل» المتراكم: الشاعر الإيراني يأتي بهذه التعابير المتراكمة في قصيدته
ليشير إلى أهمية التعامل بين الناس. المقارنة بين هذه التعابير المتراكمة تدلّ على أنّ الشاعر العربي يقوم
بالتعبير عن ظاهرة القساوة والأنانية مركزاً على الجود والسخاوة إلاّ أنّ الشاعر الإيراني يقوم بالتعبير عن
العجب مؤكّداً على دور التعامل.

٦-٣. الهييوغرام في القصيدتين

أما هييوغرام قصيدة «صنوبرين» فيأتي مترتباً على هذا القرار:

الابتعاد عن الصداقة يُقرب الإنسان من القساوة.

تُحدّد الصداقة المتينة في الأزمان القاهرة لا في الظروف الهادئة.

إنَّ الأناثية والقساوة يُدَمِّران التعاملات العميقة بين الناس.
عاقبة الكبر الهلاك.

الهيوغرام في قصيدة «التينة الحمقاء» يُشير إلى:

إنَّ النفع والخير زكنان أساسيان في دوام الحياة البشرية.

الأناثية تؤدي إلى الهلاك والدمار.

المحبة تجعل الوجه جميلاً والقساوة تجعله قبيحاً.

إنَّ السبب الرئيس في التعامل مع الأصديق والزلاء يعود إلى الابتعاد عن العجب والبخل والإقبال على المحبة والحدود. فَيُلاحَظُ أنَّ التعابير المتركمة والمنظومات الوصفية تقوم بحلِّ ما يناقض العادات اللغوية للقارئ والشواذ القواعدية في النَّصِّ وتستجلي له وحدة القصيدتين عبر الهيوغرامات.

٤-٦. الماتريس البنيوي

الماتريس البنيوي في قصيدة «صنوبرين» يبدأ من أهمية الصداقة المتينة في التعاملات الإنسانية، ثمَّ يصل إلى أنَّ القساوة والعُجب تُخَرِّبان العلاقات الودية وينتهي إلى أنَّ عاقبة العُجب دمارٌ. والماتريس البنيوي في قصيدة «التينة الحمقاء»: يبدأ من السخاوة ثمَّ يصل إلى البُخل والقساوة وينتهي إلى الأناثية والهلاك. كما أنَّه يوحد بين القصيدتين ويجعلهما أكثر تشابهاً من خلال تأكيدِه على التوبيخ والإنذار.

٧. النتيجة

تلائمت القصيدتان مع نظرية «ريفاتير» بما فيهما من لائحيات تُؤدِّي إلى نحوية سيميوطيقية. وذلك يعود إلى أنَّ القارئ في أوَّل الأمر يقرأ وصفاً عن واقع مَلْمُوسٍ لحياة «صنوبرين» و«التينة» بما فيهما من السمات البشرية؛ لكنَّ التناقض بين المحاكاة واللائحويات «الصديق، القاسي القلب، القريب، المتسخم» و«الجمال، الوند، لم يطق رؤيتها، يسخو، يقتصر» التي يدركها القارئ بكفاءته اللغوية، ينقله من البنية السطحية إلى البنية العميقة. ويتوصَّل بكفاءته الأدبية إلى نحوية تبرهن على رسالة القصيدتين الرمزية فهي تداعيات العجب المهلكة. هذا التناقض بين مقدرة القارئ اللغوية في المرحلة الأولى من القراءة ومقدرته الأدبية في المرحلة الثانية يُؤدِّي إلى ظهور التعابير المتركمة المشتركة الأناثية،

دراسة سيميائية في قصيدتي «التينة الحمقاء» لإيليا أبي ماضي و... محمد جعفر أصغري، سميرا حيدري راد، كمال دهقاني اشكذري
القساوة، الدمار وظروف المجتمع القاهرة" التي تتيح للقارئ مجالاً ليبنى النص من جديد مُتوصلاً إلى أن
وحدة القصيدتين الدلالية تكمن في الهيوغرام المشترك وهو "أساس الحياة صداقةً متينةً بعيدةً عن
القساوة والأناية". أمّا القارئ عند المقارنة بين الماتريس البنيوي في القصيدتين فيدرك هذه الرسالة
المؤكدة على الالتزام بالصداقة والوجود كالفنرات الإيجابية في ذهن القارئ لحضه على درك عقوبة عدم
الالتزام بما إتماماً للعملية السيميوطيقية.

أمّا أهمّ الدلالات المتباينة بين قصيدتي "صنوبرين" و"التينة الحمقاء" فهي: تعابير "أسلاك
الاتصال" و"الجمال" حيث تفرض على قارئها النموذجي توجيهاً رمزياً يخالف معناها المعجمي. ففي
قراءته التأويلية يدرك أنّ التشاكلات والمنظومات الوصفية اللامباشرة لـ"أسلاك الاتصال" و"الجمال"
تسير وفقاً لشفرة «العلاقات البشرية» و«السخاوة» المضمرّة مع أنّها حاضرةٌ باستمرارٍ في النص.

المصادر

الكتب

- ابراهيم، مصطفى وآخرون (١٩٨٩م)، المعجم الوسيط، استانبول- ترقية: دار الدعوة.
أبوماضي، إيليا (١٩٤٦ق)، ديوان إيليا أبوماضي، بيروت: دارالعودة.
أحمد نخلة، محمود (٢٠٠٢م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية.
بلانشية، فيليب (٢٠٠٧م)، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، سورية: دار الحوار.
حمداوي، جميل (٢٠١٥م)، مدخل إلى السيميوطيقا السردية، الطبعة الأولى.
..... (٢٠١٥م)، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، الطبعة الأولى.
حجري، حسين (٢٠٠٧م)، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الطبعة الأولى، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
ربابعة، موسى (٢٠١١م)، آليات التأويل السيميائي، الطبعة الأولى، الكويت: آفاق للنشر والتوزيع.
ريفاتير، مايكل (١٩٧٨م)، سيميوطيقا الشعر "دلالة القصيدة"، ترجمة: فريال جبوري غزول، القاهرة: دار الياس.
..... (١٩٩٣م)، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة: حميد حمداني، الطبعة الأولى، البيضاء: دار النجاح الجديدة.
زكريا، ميشال (١٩٨٦م)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، بيروت: المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر.
سعدية، نعيمة (٢٠١٦م)، التحليل السيميائي والخطاب، الطبعة الأولى، الأردن: عالم الكتب الحديث.
سلدن، رامال (١٩٩٨م)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، القاهرة: دار قباء.
سلدن، رامان وبيتر بروكس (دت)، النظريات الموجهة نحو القارئ، ترجمة: محمد نور النعيمي.

- سيرل، جون (٢٠٠٦م)، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- شاندر، دانيال (٢٠٠٨م)، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، الطبعة الأولى، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- عزّام، محمّد (٢٠٠١م)، النَّصّ الغائب تجلّيات النَّصّ في الشعر العربي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- مختار طليعات، غازي (٢٠٠٧م)، في علم اللغة، الطبعة الثالثة، دمشق: دار طلاس.
- المرايط، عبدالواحد (٢٠١٠م)، السيميائية العامة وسيميائية الأدب، الطبعة الأولى، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- مفتاح، محمد (١٩٨٦م)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية النَّصّ)، الطبعة الثانية، بيروت: دار البيضاء.
- محب، محمد جواد (١٣٨٠ش)، خاطرات سبز (مجموعه شعر براى نوجوانان)، کرمانشاه: صبح روشن.
- Riffaterre, Michael (1987), **Semiotics of poetry**, Bloomington, Indian University Press.
- _____ (1979), **La Production du Texte**, Paris, Seuil.

المقالات

- صياداني، علي، وحميد صباحي (٢٠١٤)، «النص القرآني في أشعار محمد مهدي الجواهري»، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد ١٤، صص ١٤٣-١٣٤.

المواقع الألكترونية

- حمداوي، جميل (الحصول عليه: في تاريخ ١٠ فبراير ٢٠١٧ في الساعة ١١: ٣٠)، «نظريات القراءة أو التلقّي» <https://pulpit.alwatanvoise.com>.

بررسی نشانه شناسی دو قصیده «التينة الحمقاء» ابوماضی

و «دو کاج» محمدجواد محبت بر اساس نظریه ریفاتر

محمدجعفر اصغری*^۱، سمیرا حیدری راد^۲، کمال دهقانی اشکذری^۳

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ولی عصر (عج)، رفسنجان

۲. دانش‌آموخته کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

چکیده

این پژوهش دو قصیده «التينة الحمقاء» ابوماضی و «دو کاج» محمدجواد محبت را بررسی می‌کند تا ساختار معنایی مشترک بین آن دو قصیده را تبیین نماید. دلایل اصلی مقایسه میان دو قصیده عبارت از پیامی است که دو قصیده با توجه به مضامین و دلالت‌هایی معنایی مشابه در بر دارند و خواننده موردی را بر آن می‌دارد تا از ارجاع اثر به جهان واقعی فراتر رود؛ زیرا دو قصیده آن‌چنان توصیفی ارائه می‌دهند که برگشت از تصویر واقع منجر به تحلیل نمادینی می‌شود که با خوانش ریفاتر ارتباط دارد این پژوهش با هدف تبیین دستور زایشی، کاربرد افعال و دیگر سازوکارهایی که فرایند ارتباط میان مؤلف و مخاطب را مجاز می‌شمارد، به شیوه توصیفی - تحلیلی تکیه می‌کند. نظریه نشانه‌شناسی ریفاتر نیز بر دو قصیده تطبیق داده می‌شود. نتایج نشان می‌دهد که تناقض میان سطح تقلیدی و دستورگریزی‌ها در دو قصیده، خواننده را به کشف انباشت‌های معنایی مشابه بین دو قصیده سوق می‌دهد. از جمله: خودستایی، قساوت، هلاکت و شرایط سخت جامعه که مجال را جهت ساخت دوباره متن فراهم می‌کند. مخاطب در مقایسه میان ماتریس ساختاری دو قصیده رسالت متعهد به دوستی و بخشش را همچون رمزگان الهام‌بخش در ذهنش درک می‌کند و مشخص می‌کند که وحدت دو قصیده در هیپوگرام مشترک نهفته است و آن این است که «اساس زندگی دوستی و صداقت به دور از خودستایی است»؛ اما مهم‌ترین مضامین ناهمسان به این نکته اشاره دارد که منظومه‌های توصیفی مربوط به «سیم‌های ارتباط» و «زیبایی» بر طبق رمزگذاری «روابط انسانی» در قصیده «دو کاج» و بخشش در قصیده «التينة الحمقاء» صورت می‌گیرد.

کلیدواژه‌ها: نشانه‌شناسی؛ نظریه ریفاتر؛ ایلیا ابوماضی؛ محمدجواد محبت؛ التينة الحمقاء؛ دو کاج.